

دعاء الاستفتاح

..... بعد ذلك الاستفتاح مقدمة قبل القراءة سأل أبو هريرة النبي صلى الله عليه وسلم رأيت سكوتك بعد التكبير وقبل القراءة ما تقول؟ فقال: { أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد } هذا استفتاح يستفتح به. أولا: يعترف بأن له خطايا أخطاء وزلات وذنوب. ثانيا: يعترف أنه إذا عامله الله بها، فإنه يستحق العقاب، ولو كان قد غفر الله تعالى له، ولكنه يشرع وبين لأمته. ثالثا: يستحضر أن ربه تعالى هو الذي يغفرها لا يغفرها غيره، فأنى بهذه المبالغة. إذا باعد بينك وبينها بعد المشرقين، فإن ذلك دليل على أنه لا يعذبك بها، وإذا غسلت منها وطهرت ونقأت منها كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس دل ذلك على أنك قد غفرت لك ذنوبك وخطاياك. حفظ أيضا عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يستفتح ولكن في قيام الليل بقوله: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيئا مسلما - كما في هذه الرواية - وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين كان هو يقول: وأنا أول المسلمين، ولكن الفرد منا يقول: وأنا من المسلمين؛ لأنه مسبوق بالمسلمين الذين قبله وأنا من المسلمين، ثم يدعو بالدعاء الذي يقول فيه: اللهم إني ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فأغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت إلى آخره. هذا الدعاء وهذا الاستفتاح قد يكون فيه طول، ولكنه كان غالبا يستفتح به في قيام الليل. حفظ أيضا أنه كان يستفتح في قيام الليل بقوله: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم. هذا أيضا نوع من الاستفتاح. حفظ أيضا أنه صلى الله عليه وسلم كان يستفتح بقوله: اللهم لك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق إلى آخره، وهو طويل مذكور في صحيح البخاري أيضا. وهناك أيضا استفتاحات أخرى، وقد ألف فيها بعض العلماء هناك رسالة مطبوعة لشيخ الإسلام ابن تيمية اسمها "أنواع الاستفتاحات" هذه الاستفتاحات مشهورة، ويستحب أن الإنسان يأتي بهذا تارة وبهذا تارة؛ لكونها محفوظة عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولثلاث تكون بعض السنة مهجورة؛ لأنه إذا تركها واقتص على واحد فكأنه هجر تلك الاستفتاحات. ورد أيضا خارج الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم كان يستفتح بقول: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جدك، ولا إله غيرك. وثبت عند مسلم أن عمر كان يجهر بذلك، ولا شك أن عمر ما جهر بذلك إلا ليعلمه الناس؛ فلأجل ذلك فضل الإمام أحمد هذا الاستفتاح يعني الإكثار منه أن يكثر من: سبحانك اللهم وبحمدك إلى آخره، وقال: إن هذا ثناء على الله وأما البقية فإنها أدعية، والثناء مقدم على الدعاء. فسره أيضا الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذه الأصول في قوله: سبحانك اللهم وبحمدك. التسييح هو التنزيه، والحمد هو الثناء. سبحانك اللهم متلبسا بحمدك، تبارك اسمك أي: عظيمة بركة أسمائك وجلت قدرتك تعالى جدك أي: عظم حظك وما تستحقه من العبادة على خلقك. لا إله غيرك أي: لا معبود بحق في السماوات ولا في الأرض إلا أنت يا رب. ففيه التسييح والتحميد والتمجيد والتوحيد؛ فلذلك مع اختصاره جمع هذا كله، فيكثر منه، ولكن لا يهجر بقية الاستفتاحات.